الجامعة المستنصرية

كلية التربية الأساسية

قسم رياض الأطفال

الدراسات العليا – الماجستير

نظرية النمو المعرفي عند جان بياجيه

مقدم من الباحثة

اية محمد عادل

الى

أ.د بشرى حسين علي

1448 هـ

2026 م

المقدمة

تُعد نظرية النمو المعرفي عند جان بياجيه من النظريات المهمة في علم النفس النمائي والتربوي، لما قدمته من تفسير لطبيعة تطور تفكير الطفل وكيفية اكتسابه للمعرفة وفهمه للعالم المحيط به. وقد اهتم بياجيه بدراسة الطريقة التي يتطور بها التفكير منذ مرحلة الطفولة، موضحًا أن الطفل لا يستقبل المعرفة بصورة سلبية، وإنما يشارك بصورة نشطة في بنائها من خلال تفاعله مع البيئة والخبرات التي يمر بها.

ويرى بياجيه أن النمو المعرفي لا يمثل مجرد زيادة في كمية المعلومات التي يمتلكها الفرد، بل يتضمن تغيرًا في طريقة تنظيم المعرفة والتفكير فيها. فالطفل ينتقل تدريجيًا من الاعتماد على الحواس والحركة في فهم البيئة، إلى استخدام الرموز واللغة، ثم إلى التفكير المنطقي المرتبط بالأشياء والمواقف المحسوسة، وصولًا إلى التفكير المجرد والافتراضي.

وتقوم نظرية بياجيه على مجموعة من المفاهيم الأساسية، من أبرزها: البنى أو المخططات المعرفية، والتمثل، والمواءمة، والاتزان والتكيف. كما حدد بياجيه أربع مراحل أساسية للنمو المعرفي، هي: المرحلة الحسية الحركية، ومرحلة ما قبل العمليات، ومرحلة العمليات المحسوسة، ومرحلة العمليات الصورية.

وتكتسب هذه النظرية أهمية كبيرة في المجال التربوي؛ لأنها تساعد المعلمين على فهم طبيعة تفكير المتعلم في المراحل المختلفة، وتؤكد ضرورة تقديم الخبرات التعليمية التي تتناسب مع مستوى نموه المعرفي، وإتاحة الفرصة له للاستكشاف والتجريب وحل المشكلات.

ويهدف هذا البحث إلى التعريف بنظرية النمو المعرفي عند جان بياجيه، والتعرف على نشأتها ومنطلقاتها ومفاهيمها الأساسية ومراحلها، وبيان أهم تطبيقاتها التربوية، فضلًا عن عرض دراسة عربية تطبيقية تناولت تطبيق مفاهيم النمو المعرفي من منظور بياجيه في تعليم اللغة العربية، مع عرض مشكلة الدراسة وأهدافها وأدواتها ومنهجها وعينتها ونتائجها وتوصياتها ومقترحاتها.

أولًا: اسم النظرية والمنظّر

1. اسم النظرية

اسم النظرية هو:

وتُعرف كذلك بـ:

- نظرية بياجيه في النمو المعرفي.
- النظرية المعرفية عند بياجيه.
- النظرية البنائية المعرفية.
- نظرية النمو العقلي.
- نظرية التطور المعرفي.

ويقصد بها مجموعة الأفكار والمبادئ التي قدمها جان بياجيه لتفسير كيفية تطور تفكير الإنسان ومعرفته منذ الطفولة، وكيف ينتقل الفرد من أنماط التفكير البسيطة إلى الأنماط الأكثر تنظيمًا وتعقيدًا.

وتقوم النظرية على أن الطفل يبني معرفته من خلال تفاعله مع البيئة، وأن هذا البناء يتغير مع النضج والخبرة، من خلال عمليات التمثل والمواءمة والتكيف وتحقيق الاتزان.

2. اسم المنظّر

يرتبط تأسيس النظرية بالعالم السويسري:

جان بياجيه (1896–1980) Jean Piaget.

وهو عالم نفس سويسري اهتم بدراسة النمو العقلي والمعرفي لدى الأطفال، كما اهتم بدراسة كيفية تكوّن المعرفة وتطور التفكير.

وقد تميزت أعماله باعتماده على ملاحظة الأطفال ودراسة إجاباتهم وطريقة تعاملهم مع المشكلات، ولاحظ أن الطفل لا يفكر بالطريقة نفسها التي يفكر بها الراشد، وإنما يمتلك أسلوبًا خاصًا في فهم العالم يتغير مع نموه.

وقد أسهمت أعمال بياجيه بصورة كبيرة في تطوير علم النفس النمائي والتربية، وأصبحت نظريته من أهم النظريات التي تناولت تطور التفكير والمعرفة لدى الطفل.

ثانيًا: نشأة نظرية النمو المعرفي

ظهرت نظرية بياجيه في سياق اهتمامه بدراسة المعرفة وطريقة تطورها عند الإنسان، وقد انتقل اهتمامه تدريجيًا إلى دراسة تفكير الأطفال وكيفية تعاملهم مع المشكلات والأسئلة.

ومن خلال ملاحظاته للأطفال، لاحظ بياجيه أن أخطاء الأطفال في الإجابة عن الأسئلة لا تكون عشوائية، وإنما تعكس أنماطًا معينة من التفكير تتناسب مع مستوى نموهم العقلي.

وقد أدى ذلك إلى اهتمامه بدراسة مراحل النمو المعرفي، وكيف ينتقل الطفل من مستوى من التفكير إلى مستوى آخر أكثر تعقيدًا.

ويرى بياجيه أن الطفل يتفاعل بصورة مستمرة مع البيئة المحيطة به، وأن هذا التفاعل يؤدي إلى تعديل البنى المعرفية الموجودة لديه. فعندما يواجه الطفل خبرة جديدة، يحاول تفسيرها في ضوء معرفته السابقة، وإذا كانت المعرفة السابقة غير كافية، فإنه يعدلها أو يكوّن بنية معرفية جديدة.

ومن هنا ظهرت أهمية مفاهيم التمثل والمواءمة والاتزان في تفسير عملية النمو المعرفي.

وقد طور بياجيه تصورًا مرحليًا للنمو المعرفي، وقسمه إلى أربع مراحل رئيسية تختلف فيها طبيعة التفكير والقدرات العقلية من مرحلة إلى أخرى.

ثالثًا: المنطلقات النظرية لنظرية النمو المعرفي

تقوم نظرية بياجيه على عدد من المنطلقات الأساسية التي تساعد على تفسير عملية النمو المعرفي.

1. المنطلق البنائي

يرى بياجيه أن الطفل لا يستقبل المعرفة جاهزة، وإنما يقوم ببنائها بنفسه من خلال نشاطه وتفاعله مع البيئة.

فالطفل يلاحظ الأشياء، ويتعامل معها، ويجربها، ويقارن بينها، ثم ينظم الخبرات الناتجة عنها في بنيات معرفية.

وبذلك يكون الطفل عنصرًا نشطًا في عملية التعلم، وليس مجرد مستقبل للمعلومات.

2. المنطلق المعرفي

يركز هذا المنطلق على التغيرات التي تحدث في طريقة تفكير الطفل مع تقدمه في العمر.

فالطفل في بداية حياته يعتمد على الحواس والحركة، ثم يبدأ باستخدام الرموز واللغة، وبعد ذلك يتطور لديه التفكير المنطقي، ثم يصبح قادرًا على التفكير المجرد.

وبذلك فإن النمو المعرفي يتضمن تغيرًا نوعيًا في طريقة التفكير وليس مجرد زيادة في كمية المعلومات.

3. المنطلق التكيفي

يرى بياجيه أن الفرد يسعى بصورة مستمرة إلى التكيف مع البيئة المحيطة به.

ويحدث التكيف من خلال عمليتين أساسيتين هما:

التمثل والمواءمة.

فالطفل يحاول أولًا تفسير الخبرة الجديدة باستخدام بنيته المعرفية الموجودة، وإذا لم تكن كافية يقوم بتعديل هذه البنية لتتناسب مع الخبرة الجديدة.

4. التفاعل بين الفرد والبيئة

يحدث النمو المعرفي نتيجة التفاعل المستمر بين الفرد والبيئة.

فالطفل يكتسب المعرفة من خلال تعامله مع الأشياء والمواقف والأشخاص، ومن خلال التجربة والخطأ والاستكشاف.

ولهذا فإن توفير بيئة غنية بالخبرات يساعد على نمو التفكير.

5. النضج

يمثل النضج البيولوجي أحد العوامل التي ترتبط بالنمو المعرفي.

فمع نمو الجهاز العصبي والقدرات الجسمية والحسية والحركية يصبح الطفل أكثر قدرة على التعامل مع المعلومات والخبرات.

إلا أن النضج لا يعمل منفردًا، بل يتفاعل مع الخبرة والبيئة.

6. النشاط الذاتي

يؤكد بياجيه أهمية النشاط الذاتي للطفل في بناء المعرفة.

فالطفل يتعلم بصورة أفضل عندما يشارك في النشاط، ويجرب الأشياء، ويبحث عن الحلول، بدلًا من الاكتفاء بسماع المعلومات.

7. الاتزان المعرفي

يمثل الاتزان هدفًا أساسيًا في عملية النمو المعرفي.

فعندما يواجه الطفل خبرة لا تتفق مع معرفته السابقة يحدث نوع من عدم الاتزان، وهذا يدفعه إلى تعديل فهمه أو بناء معرفة جديدة حتى يصل إلى حالة من الاتزان.

رابعًا: المفاهيم والمصطلحات الأساسية المرتبطة بنظرية بياجيه

1. البنية المعرفية

البنية المعرفية هي التنظيم العقلي الذي يستخدمه الفرد لفهم الأشياء والأحداث والخبرات.

وتتطور البنى المعرفية مع النمو والخبرة.

2. المخطط المعرفي

المخطط هو إطار عقلي يساعد الفرد على تنظيم الخبرات وفهمها والتعامل معها.

ويبدأ الطفل بمخططات بسيطة، ثم تتطور وتصبح أكثر تعقيدًا مع زيادة الخبرة.

3. التمثل

التمثل هو قيام الفرد بإدخال الخبرة الجديدة ضمن بنية أو مخطط معرفي موجود لديه.

فعندما يواجه الطفل موقفًا جديدًا يحاول في البداية تفسيره باستخدام ما يمتلكه من معرفة سابقة.

4. المواءمة

المواءمة هي تعديل البنية أو المخطط المعرفي الموجود، أو تكوين مخطط جديد، عندما تكون المعرفة السابقة غير كافية لفهم الخبرة الجديدة.

5. التكيف

التكيف هو قدرة الفرد على التعامل مع البيئة من خلال تعديل بنيته المعرفية بما يتناسب مع الخبرات الجديدة.

ويتكون التكيف من عمليتي التمثل والمواءمة.

6. الاتزان

الاتزان هو حالة من التوازن المعرفي يصل إليها الفرد عندما تصبح بنيته المعرفية متوافقة بدرجة مناسبة مع الخبرات التي يواجهها.

7. عدم الاتزان

يحدث عدم الاتزان عندما يواجه الفرد خبرة جديدة لا تتفق مع معرفته السابقة.

وتدفع هذه الحالة الفرد إلى البحث عن تفسير جديد أو تعديل معرفته السابقة.

8. التفكير الرمزي

هو قدرة الطفل على استخدام الكلمات والصور والأشياء لتمثيل أشياء أو مواقف أخرى.

ويظهر بصورة واضحة في مرحلة ما قبل العمليات.

9. التمركز حول الذات

يقصد به صعوبة الطفل في النظر إلى الموقف من وجهة نظر شخص آخر، وميله إلى تفسير الأشياء من منظوره الخاص.

10. الاحتفاظ

هو قدرة الطفل على إدراك أن كمية الشيء يمكن أن تبقى ثابتة رغم تغير شكله أو مظهره.

ومن أمثلته إدراك أن كمية الماء لا تتغير عندما تنقل من إناء إلى إناء آخر مختلف الشكل.

11. العكسية

هي قدرة الفرد على إدراك أن العملية يمكن عكسها ذهنيًا أو عمليًا.

وتظهر بصورة أكثر وضوحًا في مرحلة العمليات المحسوسة.

12. التصنيف

هو قدرة الطفل على جمع الأشياء في مجموعات بناءً على صفات أو خصائص مشتركة.

13. التسلسل

هو قدرة الطفل على ترتيب الأشياء وفق خاصية معينة، مثل الطول أو الحجم أو الوزن.

14. التفكير المجرد

هو القدرة على التعامل مع الأفكار والرموز والفرضيات التي لا ترتبط بصورة مباشرة بالأشياء المحسوسة.

ويظهر بصورة أكبر في مرحلة العمليات الصورية.

خامسًا: مراحل النمو المعرفي عند بياجيه

حدد بياجيه أربع مراحل أساسية للنمو المعرفي، وتتميز كل مرحلة بنمط معين من التفكير والقدرات العقلية.

1. المرحلة الحسية الحركية

Sensorimotor Stage

تمتد تقريبًا من الولادة إلى سنتين.

يعتمد الطفل في هذه المرحلة على:

- الحواس.
- الحركة.
- اللمس.
- النظر.
- السمع.
- الإمساك بالأشياء.
- التفاعل المباشر مع البيئة.

ويبدأ الطفل في هذه المرحلة بتكوين المعرفة من خلال أفعاله الحسية والحركية.

ومن أهم مظاهر النمو فيها إدراك **بقاء الشيء**؛ أي إدراك الطفل أن الأشياء تستمر في الوجود حتى عندما تختفي عن مجال رؤيته.

وفي نهاية هذه المرحلة يبدأ الطفل تدريجيًا في تكوين تمثيلات عقلية أولية للأشياء والأحداث.

2. مرحلة ما قبل العمليات

Preoperational Stage

تمتد تقريبًا من سنتين إلى سبع سنوات.

وتعد هذه المرحلة مهمة جدًا في دراسة أطفال رياض الأطفال.

ويبدأ الطفل خلالها في استخدام:

- اللغة.
- الرموز.
- الصور الذهنية.
- اللعب التخيلي.
- التمثيل.

ومن أهم خصائص هذه المرحلة:

أ. التفكير الرمزي

يصبح الطفل قادرًا على استخدام رمز أو كلمة لتمثيل شيء غير موجود أمامه.

ب. اللعب الرمزي

مثل أن يستخدم الطفل صندوقًا على أنه سيارة، أو يتظاهر بأنه طبيب أو معلم.

ج. التمركز حول الذات

يميل الطفل إلى تفسير المواقف من وجهة نظره الخاصة.

د. صعوبة الاحتفاظ

لا يستطيع الطفل في هذه المرحلة بصورة كاملة إدراك ثبات الكمية عندما يتغير شكل الشيء.

هـ. التفكير الحدسي

يعتمد الطفل بدرجة كبيرة على المظهر الخارجي للأشياء.

3. مرحلة العمليات المحسوسة

Concrete Operational Stage

تمتد تقريبًا من سبع إلى إحدى عشرة أو اثنتي عشرة سنة.

يبدأ الطفل في هذه المرحلة باستخدام التفكير المنطقي، خصوصًا في المواقف المرتبطة بالأشياء المحسوسة.

ومن أهم خصائصها:

- فهم الاحتفاظ.
- التصنيف.
- التسلسل.
- العكسية.
- التفكير المنطقي.
- انخفاض التمركز حول الذات.
- القدرة على مقارنة الأشياء وتنظيمها.

لكن التفكير يبقى مرتبطًا بصورة كبيرة بالأشياء والمواقف المحسوسة.

4. مرحلة العمليات الصورية

Formal Operational Stage

تبدأ تقريبًا من عمر الحادية عشرة أو الثانية عشرة وما بعدها.

في هذه المرحلة يصبح الفرد أكثر قدرة على:

- التفكير المجرد.
- التفكير الافتراضي.
- وضع الفرضيات.
- اختبار الفرضيات.
- الاستدلال المنطقي.
- التفكير في الاحتمالات.
- التعامل مع الرموز والمفاهيم المجردة.

ويمثل هذا المستوى مرحلة أكثر تقدمًا في نمو التفكير.

سادسًا: التطبيقات التربوية لنظرية بياجيه

يمكن الاستفادة من نظرية بياجيه في المجال التربوي من خلال مجموعة من التطبيقات المهمة.

1. مراعاة المرحلة النمائية

ينبغي أن تتناسب الخبرات التعليمية مع مستوى النمو المعرفي للطفل.

فلا ينبغي تقديم مفاهيم مجردة ومعقدة لطفل ما زال يعتمد على التفكير المحسوس.

2. التعلم عن طريق النشاط

ينبغي إشراك الطفل في النشاط التعليمي بدلًا من الاكتفاء بالتلقين.

3. التعلم عن طريق الاستكشاف

يمكن للمعلم توفير الأدوات والمواد التي تسمح للطفل باكتشاف العلاقات بنفسه.

4. استخدام الأشياء المحسوسة

خصوصًا مع الأطفال في المراحل المبكرة، إذ تساعد الأشياء الحقيقية على تكوين المفاهيم.

5. استخدام اللعب

يعد اللعب وسيلة مهمة لنمو التفكير، ولا سيما اللعب الرمزي في مرحلة ما قبل العمليات.

6. حل المشكلات

يمكن تقديم مشكلات مناسبة لمستوى الطفل وترك الفرصة له للتفكير في الحل.

7. التصنيف والترتيب

يمكن استخدام أنشطة تصنيف الألوان والأشكال والأحجام، وأنشطة ترتيب الأشياء وفق الطول أو الحجم.

8. الربط بين الخبرات السابقة والجديدة

ينبغي أن ينطلق التعليم من المعرفة السابقة لدى المتعلم، ثم يضيف إليها خبرات جديدة.

9. تشجيع الأسئلة

ينبغي تشجيع الطفل على طرح الأسئلة والتعبير عن أفكاره.

10. مراعاة الفروق الفردية

قد يختلف الأطفال في مستوى نموهم المعرفي، ولذلك ينبغي ألا تكون الأنشطة التعليمية واحدة بصورة جامدة للجميع.

11. استخدام الحوار والمناقشة

يساعد الحوار على جعل الطفل أكثر نشاطًا في بناء المعرفة وفهم الأفكار.

12. توفير بيئة تعليمية مناسبة

ينبغي أن تكون البيئة التعليمية غنية بالمواد والخبرات التي تسمح للطفل بالتجربة والاكتشاف.

سابعًا: دراسة منشورة عن نظرية النمو المعرفي عند بياجيه

1. عنوان الدراسة

تطبيق مفاهيم النمو المعرفي من منظور بياجيه في تعليم اللغة العربية في المرحلة المتوسطة: دراسة ميدانية في متوسطات الوادي.

2. اسم الباحثة والسنة والجامعة

الباحثة: عفاف رداد.

السنة: 2021.

الجامعة: جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي، الجزائر.

3. مشكلة الدراسة

تمثلت مشكلة الدراسة في التعرف على مدى تطبيق مفاهيم النمو المعرفي من منظور بياجيه في تعليم اللغة العربية في المرحلة المتوسطة، ومدى تفاعل أساتذة اللغة العربية مع المدخل البنائي واستثمارهم لمبادئه في العملية التعليمية.

وتمثلت أهم تساؤلات الدراسة في:

1. ما مدى تطبيق مفاهيم النمو المعرفي في تعليم اللغة العربية في المرحلة المتوسطة؟
2. ما مدى تفاعل الأساتذة مع المدخل البنائي واستثمارهم لأهم مبادئه؟
3. ما النظرية البنائية ومن صاحبها؟
4. ما أهم الاستراتيجيات القائمة في التعليم حسب النظرية؟
5. ما مدى تطبيق النظرية ميدانيًا؟

4. أهداف الدراسة

هدفت الدراسة إلى معرفة مدى تطبيق النظرية البنائية بمختلف أنشطتها واستراتيجيات التدريس وفق مبادئها في تعليم اللغة العربية. كما هدفت إلى التعرف على مدى تطبيق مفاهيم النمو المعرفي واستراتيجيات النظرية البنائية لدى أساتذة اللغة العربية في المرحلة المتوسطة، ومعرفة مدى استخدامهم للاستراتيجيات التعليمية المرتبطة بها.

5. أدوات الدراسة

استخدمت الباحثة **الاستبانة** أداة لجمع البيانات.

وقد أعدت الباحثة استبانة للتعرف على مدى استعمال مدرسي اللغة العربية لمفاهيم النمو المعرفي من خلال استراتيجيات النظرية البنائية.

وتضمنت الاستبانة **33 سؤالًا**، تنوعت بين الأسئلة المغلقة والأسئلة المفتوحة.

6. منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على:

المنهج الوصفي في تحليل الظاهرة المدروسة.

كما استعانت بـ:

المنهج المقارن.

واستخدمت الباحثة **المنهج الإحصائي** في إحصاء نتائج الاستبانة والمقارنة بين النسب المئوية.

7. عينة الدراسة

تكونت عينة الدراسة من **18 أستاذًا لمادة اللغة العربية في مرحلة التعليم المتوسط**.

وقد تم اختيار العينة بطريقة عشوائية، ووزعت الاستبانة على مجموعة من متوسطات ولاية الوادي، وهي:

1. متوسطة دومي مبارك بن الطالب العربي – بلدية الطالب العربي.
2. متوسطة الخوارزمي – بلدية البياضة.
3. متوسطة رقيعة عبد القادر – بلدية الطالب العربي.
4. متوسطة عبد الناصر الرحمان – بلدية البياضة.

وقد امتدت فترة إجراء الدراسة الميدانية وتوزيع الاستبانة من **2021/05/16 إلى 2021/05/26**.

8. نتائج الدراسة

توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج، من أهمها:

1. أظهرت الدراسة أن أغلب أساتذة اللغة العربية لديهم معرفة بمفاهيم النظرية البنائية.
2. أشارت النتائج إلى أن **83% من الأساتذة** أفادوا بأنهم يعملون بمفاهيم النظرية البنائية في تعليم اللغة العربية، مقابل 17% لا يعملون بها.
3. أظهرت النتائج أن **94% من الأساتذة** يضعون التلاميذ أمام مشكلات في أحد أنشطة اللغة العربية ويدفعونهم إلى حلها.
4. تبين أن أساتذة اللغة العربية يستخدمون مجموعة من الاستراتيجيات التعليمية القائمة على النظرية البنائية، ومن أبرزها:
   - استراتيجية حل المشكلات.
   - استراتيجية التعلم التعاوني.
   - استراتيجية التعلم بالمحاولة أو الخطأ.
5. أظهرت النتائج أن **94% من الأساتذة** يشجعون التلاميذ على تقويم ما تعلموه من مهارات وعناصر لغوية.
6. بينت النتائج أن **89% من الأساتذة** يكلفون التلاميذ بمراجعة الدرس الأدبي قبل عرضه في الصف.

9. توصيات الدراسة

توصلت الباحثة إلى مجموعة من التوصيات والاقتراحات، من أهمها:

1. ضرورة مواكبة الأساتذة للتغيرات التي تطرأ على النظام التربوي.
2. التأكيد على أهمية التكوين الدائم والمستمر للأساتذة، للاطلاع على الطرائق البيداغوجية الجديدة والوثائق المرتبطة بالتعليم والتعلم.
3. ضرورة أن يكون الأستاذ متمكنًا وملمًا بأساليب واستراتيجيات التعليم للتحكم في سير العملية التعليمية التعلمية.
4. ضرورة استخدام بعض الطرائق التلقينية عند تدريس بعض فنون اللغة العربية التي تحتاج إلى الحفظ، مثل بعض قواعد النحو والصرف.
5. التأكيد على أن النظرية البنائية مطبقة إجرائيًا، وأنها حققت نتائج مرضية.
6. إقامة دورات تكوينية وأنشطة مختلفة ونوادٍ للمعلمين، بهدف مساعدتهم على تطوير مستواهم المعرفي والمهني.

10. مقترحات الدراسة

لم تضع الباحثة قسمًا مستقلًا بعنوان «**مقترحات الدراسة**»، وإنما ورد في الدراسة عنوان «**حلول واقتراحات**»، وتضمن مجموعة من المقترحات والتوصيات، أهمها:

1. مواكبة الأساتذة للتغيرات المستمرة في النظام التربوي.
2. الاستمرار في التكوين والتدريب المهني للأساتذة.
3. تطوير معرفة الأساتذة باستراتيجيات التدريس الحديثة.
4. تنظيم دورات تكوينية وأنشطة ونوادٍ للمعلمين.
5. تطوير المستوى المعرفي والمهني للمعلمين.
6. الاستفادة من الاستراتيجيات البنائية المناسبة لطبيعة المادة والموقف التعليمي.

ثامنًا: النقد العلمي للدراسة

تتميز الدراسة بعدد من الجوانب العلمية المهمة.

أولًا، أنها لم تقتصر على الجانب النظري، وإنما تضمنت جانبًا ميدانيًا تطبيقيًا تناول واقع استخدام مفاهيم النظرية البنائية والنمو المعرفي في تعليم اللغة العربية.

ثانيًا، استخدمت الدراسة الاستبانة لجمع البيانات من أساتذة اللغة العربية، مما أتاح للباحثة الحصول على معلومات مباشرة من الميدان التربوي.

ثالثًا، تناولت الدراسة مجموعة متنوعة من الاستراتيجيات التعليمية، ومنها حل المشكلات والتعلم التعاوني والتعلم بالمحاولة أو الخطأ.

رابعًا، قدمت الدراسة نتائج رقمية مبنية على استجابات أفراد العينة، مما ساعد في وصف مدى انتشار بعض الممارسات التعليمية.

أما من ناحية الملاحظات، فإن عينة الدراسة اقتصرت على **18 أستاذًا**، ولذلك فإن تعميم النتائج على جميع أساتذة اللغة العربية أو جميع المؤسسات التعليمية يحتاج إلى الحذر.

كما أن الدراسة اعتمدت على الاستبانة، وبالتالي فإن النتائج تعكس استجابات الأساتذة، ولا تعني بالضرورة أن جميع الممارسات المصرح بها تتم بالطريقة نفسها عند الملاحظة المباشرة داخل الصف.

كذلك فإن الدراسة تناولت التعليم المتوسط، ولذلك فإن نتائجها لا يمكن نقلها بصورة مباشرة إلى مرحلة رياض الأطفال، وإنما يمكن الاستفادة منها في فهم كيفية توظيف بعض مبادئ بياجيه في العملية التعليمية.

تاسعًا: مدى توافق الدراسة مع نظرية بياجيه

تتوافق الدراسة مع نظرية النمو المعرفي عند بياجيه في عدد من الجوانب.

أولًا، ركزت الدراسة على المتعلم ودوره في بناء المعرفة، وهو ما يتفق مع المنظور البنائي الذي يعد المتعلم عنصرًا نشطًا في عملية التعلم.

ثانيًا، تناولت الدراسة أهمية الخبرات السابقة لدى المتعلم وربطها بالمعلومات الجديدة، وهو أمر يرتبط بعملية بناء المعرفة وتعديل البنى المعرفية.

ثالثًا، تناولت الدراسة استراتيجيات مثل حل المشكلات والتعلم التعاوني والتعلم بالمحاولة أو الخطأ، وهي استراتيجيات تساعد المتعلم على النشاط والتفاعل مع المواقف التعليمية.

رابعًا، تناولت الدراسة الفرضيات التي يضعها المتعلم ودورها في بناء معارفه بنفسه، وهو ما ينسجم مع فكرة المتعلم النشط في البناء المعرفي.

ومع ذلك، فإن توافق الدراسة مع نظرية بياجيه لا يعني أنها اختبرت جميع جوانب النظرية؛ لأنها ركزت بصورة أساسية على تطبيق المفاهيم البنائية والاستراتيجيات التعليمية، ولم تكن تجربة تجريبية لاختبار المراحل الأربع للنمو المعرفي بشكل مباشر.

وبذلك يمكن اعتبار الدراسة تطبيقًا تربويًا لمجموعة من المبادئ المرتبطة بالبنائية والنمو المعرفي عند بياجيه.

عاشرًا: الاستنتاجات

1. تعد نظرية النمو المعرفي عند جان بياجيه من النظريات المهمة في علم النفس النمائي والتربوي.
2. ينظر بياجيه إلى الطفل بوصفه عنصرًا نشطًا في بناء المعرفة.
3. يحدث النمو المعرفي من خلال التفاعل بين الفرد والبيئة.
4. يمثل التمثل والمواءمة عنصرين أساسيين في عملية التكيف المعرفي.
5. يمثل الاتزان عملية مهمة في تطور البنية المعرفية.
6. قسم بياجيه النمو المعرفي إلى أربع مراحل رئيسية.
7. تتميز كل مرحلة من مراحل النمو بنمط خاص من التفكير.
8. تعد مرحلة ما قبل العمليات ذات أهمية خاصة في دراسة أطفال رياض الأطفال.
9. يسهم اللعب الرمزي في تطوير قدرة الطفل على استخدام الرموز والتمثيلات.
10. يساعد النشاط والاستكشاف على بناء الخبرات والمعارف.
11. ينبغي أن تتناسب الأنشطة التعليمية مع مستوى النمو المعرفي للطفل.

الخاتمة

توضح نظرية النمو المعرفي عند جان بياجيه أن المعرفة لا تنتقل إلى الطفل بصورة جاهزة، وإنما يقوم الطفل ببنائها بصورة نشطة من خلال تفاعله مع البيئة والخبرات التي يمر بها. ويحدث هذا البناء من خلال عمليات معرفية أساسية تتمثل في التمثل والمواءمة والتكيف والاتزان.

وقد قدم بياجيه تصورًا مرحليًا للنمو المعرفي، يبدأ بالمرحلة الحسية الحركية، ثم مرحلة ما قبل العمليات، ثم مرحلة العمليات المحسوسة، وأخيرًا مرحلة العمليات الصورية. وتمثل كل مرحلة مستوى معينًا من تطور التفكير والقدرة على فهم العالم والتعامل معه.

وتظهر أهمية النظرية في المجال التربوي من خلال تأكيدها ضرورة مراعاة المستوى المعرفي للمتعلم، وتوفير فرص الاستكشاف والتجريب والمناقشة وحل المشكلات، وربط الخبرات الجديدة بالمعارف السابقة.

كما توضح الدراسة التطبيقية للباحثة عفاف رداد سنة 2021 أن بعض مبادئ النظرية البنائية المرتبطة بالنمو المعرفي عند بياجيه يمكن توظيفها في العملية التعليمية، وأن مجموعة من الأساتذة تستخدم استراتيجيات مثل حل المشكلات والتعلم التعاوني والتعلم بالمحاولة أو الخطأ.

وقد أظهرت الدراسة كذلك أن نسبة كبيرة من الأساتذة ترى أن تطبيق النظرية البنائية يساعد التلاميذ على الفهم والإدراك بصورة أسهل، وأن الخبرات السابقة للمتعلم تؤدي دورًا مهمًا في فهم المعلومات الجديدة.

وفي ضوء ذلك يمكن القول إن نظرية بياجيه قدمت أساسًا مهمًا لفهم تطور التفكير لدى الطفل، كما قدمت مجموعة من المبادئ التي يمكن الإفادة منها في تصميم العملية التعليمية، مع ضرورة مراعاة المرحلة العمرية والفروق الفردية والظروف التعليمية والاجتماعية المحيطة بالمتعلم.

المصادر

أولًا: المصادر العربية

1. رداد، عفاف. (2021). **تطبيق مفاهيم النمو المعرفي من منظور بياجيه في تعليم اللغة العربية في المرحلة المتوسطة: دراسة ميدانية في متوسطات الوادي**. مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي، الجزائر.
2. **ماذا تعرف عن نظرية بياجيه؟** صحيفة رسالة الجامعة، جامعة الملك سعود. تناولت مفهوم النمو المعرفي عند بياجيه، والتوافق والتمثل والمواءمة والاتزان ومراحل النمو.
3. الزغول، رافع النصير عماد. (2003). **علم النفس المعرفي**. دار الشروق، عمان، الأردن.
4. الزغول، عماد عبد الرحيم. (2012). **نظريات التعلم والتعليم**. دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
5. الحيلة، محمد محمود، ومرعي، توفيق أحمد. (2007). **طرائق التدريس العامة**. دار المسيرة، عمان، الأردن.

ثانيًا: المصادر الأجنبية

6.Piaget, J. (1952). **The Origins of Intelligence in Children**. New York: International Universities Press.

7. Piaget, J. (1970). **Piaget's Theory**. In P. H. Mussen (Ed.), *Carmichael's Manual of Child Psychology*. Wiley.
8. Piaget, J., & Inhelder, B. (1969). **The Psychology of the Child**. New York: Basic Books.
9. Piaget, J. (1985). **The Equilibration of Cognitive Structures: The Central Problem of Intellectual Development**. Chicago: University of Chicago Press.

رابط الدراسة التطبيقية المعتمدة

عفاف رداد (2021) – جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر:
الدراسة الأصلية PDF – مستودع جامعة الوادي

الدراسة الأصلية تقع في **89 صفحة**، والجزء التطبيقي يبدأ تقريبًا من الصفحة 46، ويتضمن منهجية الدراسة، الاستبانة وتحليلها، ثم النتائج والحلول والاقتراحات.